المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية
المجلد الثامن - العدد الثالث - 1399 - 1979

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين شكير

أروى
امرأة تولّت الحكم في اليمن

بقلم الدكتورة
فضيلة الشامي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

المقدمة :

هناك نساء عربيات اشتهرن في الاسلام واستطعن بكل جدارة ان يساهمن في ادارة امور البلاد وينجحن في ذلك خير نجاح . والتاريخ العربي الاسلامي خير شاهد على ذلك . وكانت بينهن من تولت الحكم بنفسها واصبحت في مصاف الحكام اروى ابنة احمد الصليحية ، والتي تعد اول واشهر امراة مسلمة تتقلد هذا المنصب الخطير . اذ لم تسبقها اية امراة في الاسلام ، ولم تخلفها اخرى مطلقا . وقد تجاوز حكمها فترة ليست بالقليلة فتميزت بحسن ادارتها لبلاد اليمن وامتدت سلطتها الى مناطق اخرى سيرد ذكرها فيما بعد .

ومن الجدير بالذكر ان اروى كانت هي الحاكمة الفعلية للبلاد وفي حياة زوجها المكرم اي قبل ان ترثه الحكم ، وذلك لقوة شخصيتها ولذكائها الخارق وقدرتها على السياسة ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مدى ما وصلت اليه المراة العربية من قابلية وقدرة على تولي المناصب السياسية شأنها شأن الرجال ليس الا . وقبل ان نتطرق الى هذه السيدة او الى تاريخ اليمن تحت حكمها علينا ان نتطلع الى اوضاع اليمن وظروفها قبل توليها الحكم .

من الملاحظ ان بلاد اليمن كانت دائما وابدا مطمع الانظار اذ يوضح لنا تاريخها انه مرت عليها ظروف سياسية قاسية جعلت حكمها غير مستقر، كما انها تميزت باختلاف الدويلات التي حكمت فيها منذ انتشار الاسلام بل وحتى قبل الاسلام ايضا . وانها تميزت اكثر من غيرها برسوخ حضارتها القديمة . ولا نريد هنا ان نستعرض تاريخها الطويل المعروف اذ يجرنا ذلك الى سرد طويل لم ينته ، ولكن المهم هنا ان نقصر بحثنا على تاريخها وهي في ظل الحكم الصليحي .(١)

ومهما يكن من امر فان الصليحيين تمكنوا من الاستيلاء على اليمن بعد ان تزعزعت اركانها واوضاعها فلم تكن بها وحدة سياسية او سلطة موحدة قبيل توليهم السيادة فيها اذ كانت السلطة موزعة بين الامراء والزعماء المتنافرين وذلك حتى اواخر القرن الخامس للهجرة واوائل القرن السادس لانها مقسمة الى دويلات وامارات منها الزيادية والنجاحية واليعفرية(٢) .

---

(١) الصليحي نسبة الى الاصلوح من بلاد حراز ثم من حمير. العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام ص ٢٤ . وينتمي الى قبيلة كهلان . عدنان ترسيس : اليمن وحضارة العرب ص ٩٥ .

(٢) العقيلي : الخلاف السليماني جـ ٢ ص ٢٢ .

WWW.ATTAWEEL.COM

كما انها لم تكن مرتبطة بالخليفة العباسي الا برباط واه الاوهو اقامة الخطبة وضرب السكة باسم الخليفة العباسي في بغداد فقط(٣) .

ومن المعلوم ان ارروى لم تكن اول من حكم الدولة الصليحية بل سبقها شخصية مهمة لعبت دورا فعالا في تأسيسها وترسيخها الا وهو ابو الحسن علي بن محمد الصليحي ، وحينما نستعرض حياة هذا الشخص نجد انه نشأ في بيت فقه وعلم ـ فابوه محمد كان قاضيا في اليمن وفقيها وعالما ويورد المقريزي(٤) ان في طاعته كان اربعون الفا . وهذا يدل على مدى علو منزلته في اليمن وقوة شخصيته . لهذا نرى انه نشا نشأة محترمة وفي بيت سليل عريق . اما متى برز سياسيا فاغلب المصادر(٥) توكد على انه تولى الحكم في عام ٤٢٩هـ واستمر فيه حتى عام ٤٥٨هـ وهذه الفترة ليست بالقليلة بالنسبة لحكم اليمن التي تتميز بالتقلب السريع في اوضاعها السياسية .

ومن الجدير بالذكر ان علي هذا جمع بين الدعوة والدولة معا ، اما كيف اعتنق الاسماعيلية وتولية الدعوة فتروي المصادر التاريخية ان الداعي الفاطمي عامر بن عبدالله الزواحي(٦) كان المؤثر الحقيقي عليه ، اذ جعله يدين بمذهب الاسماعيلية(٧) وكان ذلك في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله .

ومما لاشك فيه انه كان يدين بالولاء للخليفة الفاطمي المستنصر بالله(٨) ويخطب له في المنابر(٩)

(٣) الهمداني : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٦٣ .
(٤) الخطط ج ٢ ص ١٧٢ .
(٥) اليماني : تاريخ اليمن ص ٤٩ ، . عدنان ترسيس : اليمن وحضارة العرب ص ٩٥ .
(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٣ ص ١١) .
(٧) ينفرد ابن خلدون فيسميه عامر بن عبدالله الزواي ويربط ذلك نسبة الى زاوية من قرى حوران . العبر ج ٤ ص ٢١٤ . ويختلف العرشي فيقول ان الدعوة كانت في سليمان بن عبدالله الزواحي صاحب حصن كوكبان وقيل بل بلغت الى الحسين بن عامر بن ظاهر صاحب حبابة بلوغ ص ٢٢ .
(٨) المستنصر بالله هو معد بن الظاهر العبيدي ، وقيل كان يدين بالولاء للخليفة القائم بالله فعدل عنه الى المستنصر بالله . ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٥٨ . ويؤكد حسن ابراهيم ان الخليفة المستنصر منح علي لقب الامير الاجل مشرف العالي تاج الدولة سيف الامام المظفر في الدين نظام المؤمنين . حسن ابراهيم : اليمن البلاد السعيدة ص ٧٥ .
(٩) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٥٨ .

وحينما دخلت سنة خمس وخمسين واربعمائة للهجرة نجد انه يملك جميع ارجاء اليمن . ولقد اتخذ سياسة خاصة اذ اعاد الحكام الذين طردهم من اليمن الى اماكنهم ، كما توجه الى تنظيم اليمن فبنى عدة قصور فيها كما عين اسعد بن شهاب(١٠) وهو اخو زوجته اسماء ابنة شهاب(١١) وابن عمه على مدينة زبيد .

والواقع ان زبيد تعد من اشهر المدن في اليمن ، وكانت منفصلة عن صنعاء اذ كان يحكمها النجاحيون وعلى راسهم نجاح ، فعمل الصليحي مكيدة قتله فيها(١٢) . وبعد مقتله هرب اولاده الى جزيرة دهلك باتجاه الساحل الصومالي في البحر الاحمر اي الى الحبشة . ومنهم سعيد الملقب بالاحول عاد ثانية الى زبيد وملكها سنة تسع وسبعين واربعمائة ، ولكنه ايضا قتل هذا في عهد ابنه المكرم . اما جياش(١٢) (اخو سعيد) فانه استرجع زبيد ثانية وتملكها فانفصلت في عهده عن حكم الصليحيين .

اما بالنسبة لمدينة عدن فان علي لم يتعرض الى ملوكها وهم من بني معن حيث ابقاهم في منطقتهم ولم يتعرض لهم خصوصا حينما اعلنوا ولاءهم له . وعلى اية حال فان جدهم العباس كانت له سابقة محمودة ودور فعال في قيام الدعوة المستنصرية ، لذا ابقاهم وفرض عليهم ضريبة

(١٠) تروى حكاية ان علي حلف ان لا تكون تهامة زبيد الا لمن وزن مائة الف دينار فوزنت له زوجته اسماء عن اخيها اسعد مولاه وقال لها ربا مولاتنا انى لك هذا فقالت هو من عند الله . ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . فتبسم وعلم انه من خزانته وقال : هذه بضاعتنا ردت الينا . ابن خلكان ، وفيات ج ٣ ص ١٢ .
(١١) كانت اسماء من اعيان النساء وحرائرهن تقصد ويمدح بها ويزوجها وابنها . وفيها يقول ابن العلقمي
قلت اذ عظموا لبلقيس عرش
وست اسماء من دارى المجد اسمى
وكان يقال لها الحرة الكاملة ، وكانت كاسمها مدبرة ومتدينة ، وكان يدعى لها على المنابر فيخطب اولا للمستنصر ثم للصليحي ثم للحرة فيقال : (اللهم ادم بامر الحرة الكاملة السيدة كاملة المومنين) ابو مخرمة : ثغر عدن ج ١ ص ١٦١ .
(١٢) يقول ابو مخرمة : ان علي كان يستكين لامره في الظاهر وهو في الباطن يعمل الحيلة في قتله حتى قتله بالسم على يد جارية اهداها اليه كانت بارعة الجمال وذلك عام ٤٥٢هـ . ثغر عدن ج ١ ص ١٦١ .
(١٣) يضيف ابن مجاور ان جياشا كان ملكا ضخما شهما جوادا كريما وقورا حليما مدحه عدة شعراء من عصره فاجازهم بالجوائز السنية . المستبصر ص ٤٦ .

سنوية تدفع صداقا لزوجة ابنه وهي اروى(١٤) حينما تزوجها المكرم ، وكذلك الحال في ابين والشحر وحضرموت(١٥) فاصبحوا نوابا له فيها.

ويروى انه اظهر العدل والاحسان ، وكسب قلوب الناس ورخصت الاسعار(١٦) ، وكان ذلك عام ٤٥٤هـ .

وعلى اية حال فان الصليحيون رغم سيطرتهم على مناطق واسعة ، وعلى تمكن حكمهم في هذه الفترة الا انه حدثت امور ادت في النهاية الى قتل علي مؤسسهم . وقد تم ذلك على يد الزبيديين المناهضين لحكمه ؛ وبيد زعيمهم سعيد الاحول اذ تآمر عليه وهو في طريقه الى الحج ونزوله في المهجم عند بئر ام الدهيم فقتله غيلة سنة ٤٥٩هـ(١٧) ، وقتل اخاه عبدالله ثم اخذ زوجته اسماء اسيرة ووضع راس زوجها امام هودجها ثم نصبه امام سجنها بزبيد . ولم يكتف بذلك بل استولى على خزائن الصليحي وعلى اموالة(١٨) . ومن هنا عادت زبيد الى حكم النجاحيين كما ذكرت سابقا(١٩) .

وهكذا بموت مؤسس الدولة الصليحية علي انتشر عقد الوحدة في البلاد وعادت اليمن الى عهد الفوضى والاضطرابات حتى تسنم ابنه المكرم الحكم وقد حاول اعادة الهدوء والطمأنينة الى اليمن ثانية فاستقرت الاوضاع بعهده واستقامت الامور .

ومما يجب ان لا ننسى هنا دور زوجته اروى في كل هذه ، وما مدى قيامها بواجبها وتمسكها زمام الامور وهي في عصمة زوجها وفي عهد حكمه ايضا . ولو اردنا ان نتتبع ما جبل عليه المكرم من اخلاق وصفات ومدى انعكاسه على سياسة اليمن نجده انه كان يتميز بالعدل والدهاء وهذا مكنه من السيطرة على جميع بلاد اليمن بتنظيم جيش قوى متمكن . وعلى اية حال فان الصليحي كان يتحلى بالقوة والحزم والذكاء والشجاعة وكذلك بطلاقة اللسان كما انه كان يتميز بعلمه وبوفائه .

والحقيقةانه كانصارما كريما مدحه الشاعران القمي وغيره ببعض القصائد ، وكان كما يذكر متحليا بالاخلاق الفاضلة فلم يمر بقوم الا اشار اليهم بالسلام(٢٠) فطنا ، ومن ادلة قوة شخصيته وقدرته وقابليته ان اسكن النفوس الغاضبة ، وهذا الاوضاع المضطربة في البلاد ـ ومما يورد عنه انه كان متسامحا مع المذاهب الاخرى ، وقد ولى ابا علي محمد القمي الوزارة وديون الانشاء . وكان يهتم بالزراعة فكان اول من غرس النخيل في اليمن(٢١) . وكان يهتم بالحركة العمرانية فقد قرر ان يبني ما بين زبيد ومكة وفي كل مرحلة من المراحل مسجدا ورباطا ليذكر به بعد موته . ولا زال يبني ما قرره حتى وصل الى المهجم(٢٢) وهي احدى المناطق في البادية فحط الرحال بها ، ونزل بظاهرها . وكان من رجاله البارزين(٢٣) احمد بن المظفر واحمد بن محمد خاله وسفيره (وقد كان هذا والد زوجة ابنه المكرم اروى موضوع البحث) وقد انهدم عليه الدار في تعز فمات فيها .

وهكذا من هنا نستخلص من دراستنا لحياة مؤسس الدولة الصليحية بانه بدهائه تمكن من ترسيخ حكمه باليمن وبتوحيدها تحت حكمه .

وبعد مقتل علي الصليحي نجد ان ابنه احمد الملقب بالمكرم يستخلفه في الحكم وكان اخوه محمد وليا للعهد قبله(٢٤) لكن هذا توفى فاصبح المكرم بعده رئيسا البلاد . والواقع ان المكرم كان نائبا عن ابيه حينما توجه الى بلاد الحجاز حاجا ، حيث خلفه على البلاد ، وكان يعتمد عليه نظرا لكفاءته ولقدرته على الضبط والادارة . ولقد استطاع

---

(١٤) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥ ص ٧٢ ، الشماحي : اليمن الانسان والحضارة ص ١١٥ .

(١٥) حمزة : تاريخ عدن ص ٤٠ ، ويورد ابن خلكان ان علي الصليحي خطب له على منبر عدن فقال بعض من حضر : سبوح قدوس . فامر بالحوطة عليه . وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٤١٢ .

(١٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٧٢ .

(١٧) العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام ص ٢٥ ، الشماحي : اليمن الانسان والحضارة ص ١٤ .

(١٨) ابو مخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ١ ص ١٦٢ .

(١٩) الشماحي : اليمن الانسان والحضارة ص ١٠٥ .

(٢٠) ابو مخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ١ ص ١٦٢ ، ويورد ابو مخرمة قصيدة له مطلعها :

انكحت بيض الهند سمر رماحهم
فرؤوسهم عرض النثار نثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها
الا بحيث تطلق الاعمار

ومن قوله ويقال انه لغيره قالها على لسانه :

والد من فرع الثاني عنده
في الحرب الجم يا غلام واسرج
خيل بارض حضرموت اشدها
ومهيلها بين العراق فمنبج

(٢١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ٧٥ .

(٢٢) المصدر السابق .

(٢٣) الحمادي : كشف اسرار الباطنية ص ٤٢ .

(٢٤) حسن ابراهيم : اليمن البلاد السعيدة ص ٧٨ .

وبكل جدارة ان يقمع الاضطرابات التي قامت في البلاد بعد اغتيال والده حيث اعاد الى الدولة هيبتها(٢٥) .

ويوصف المكرم انه كان ملكا شجاعا شهما كريما وفارسا كوالده(٢٦) وقد استطاع ان يضم بلاد اليمن تحت لوائه(٢٧) .

ومن الجدير بالاشارة انه اهتم بامور البلاد في بداية حكمه اهتماما شديدا ، فحاول اعادة زبيد الى حكم الصليحيين ، وارسل جيشا لمحاربة سعيد الاحول قاتل والده وذلك سنة ٤٧٩هـ ، حيث هرب هذا من زبيد ،فاعاد والدته من اسرها وهي فيه قرابة عام كامل(٢٨) الى صنعاء ، كما اعاد خاله اسعد بن شهاب الى زبيد بعد ان كان قد هرب منها سابقا لان الاحول طرده . والحقيقة ان اروى زوجة المكرم كانت بجهودها وبتدبيرها هي بالذات وفي عهد المكرم ايضا قد قامت بهذه العملية اذ امرت بارسال جيش لمحاربته مما سنراه فيما بعد .

ومما عمله المكرم ايضا بناؤه مسجدا لابيه الذي قتل هناك ، وعلى اية حال فان المكرم لم يستقر في صنعاء بل انتقل الى ذي جبلة المدينة التي اختطها سابقا عبدالله بن محمد الصليحي سنة ٤٥٨هـ(٢٩) تاركا في صنعاء بعضا من رجاله وعلى رأسهم عمران بن المفضل اليامي (جد ابو حمير سبأ بن احمد المظفر) وابا السعود بن اسعد ابن شهاب(٣٠) . وحينما استقر في ذي جبلة اهتم بالناحية العمرانية فيها فابتنى الدور والقصور الكبيرة ، ومن اشهرها دار العز ، كما شيد المساجد ايضا ، وبنى قبرا لامه اسماء فيها .

وهكذا نلاحظ ان الهدوء ساد البلاد في عهده بعد ان قضى على الفتن والاضطرابات فيها فهدأت الاوضاع رغم اعتماده على زوجته اروى .

ومما لاريب فيه ان زواج المكرم باروى(٣١) كان يلعب دورا فعالا في مسيرة حياته ـ اذ تميزت هذه الامراة بقدرتها السياسية وقابليتها على الادارة . ولقد اعتمد عليها زوجها كثيرا اذ ترك امور البلاد السياسية بيدها ؛ وعلى الرغم من كل هذا فانه اهتم وانشغل ببعض الامور الاخرى فانصب فكره حول منطقة التعكر التي كانت تابعة سابقا لاسعد بن عبدالله بن محمد الصليحي . (وهو ابن عم الملك المكرم) لكن هذا ساءت سيرته فيها لذا نقله عنها وعوضه حصون اخرى ؛ كما جعل ابا البركات بن الوليد واليا عليها ، وولى اخاه ابا الفتوح على حصن تعز . وعلى اية حال فان المكرم لم يفت حال سعيد الاحول(٣٢) او بالاحرى نجد ان زوجته اروى تحاول مرة اخرى ان ترسل جيشا كبيرا مجهزا الى زبيد لاعادتها الى حكمهم خصوصا وانهم يضمرون العداء ضدهم ، وقد صمموا ان ينتقموا منهم وباية صورة كانت لاخذ الثار لوالدهم المقتول فيها . لهذا نجدهم يتوجهون بجيش الى زبيد فيصطدم بهم بحرب ضوار كانت نتيجتها ان انتصر الصليحيون عليهم بعد ان يقتلوا قائدهم ورئيسهم الاحول سنة ٤٨١هـ . ولما لم يستطع اخوه جياش المقاومة هرب الى الهند وعادت زبيد اليهم فيعيد ابو حمير

---

(٢٥) الشماحي : اليمن الانسان والحضارة ص ١١٤ .
(٢٦) ابو مخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ٧ .
(٢٧) حسن ابراهيم : اليمن البلاد السعيدة ص ٧٨ .
(٢٨) يروى ان والدة المكرم اسماء كتبت اليه تعلمه انها احتالت على اخراجها في رغيف لطالب عرفته تعلمه انها قد صارت حاملة من السيد لتحرجته بذلك . العرشي : بلوغ المرام ص ٢٦ . كما يذكر ان جياش بن نجاح قد اشار مع اخيه يوم قتل علي بن محمد الصليحي ان يفك اسر اسماء ومن قدر عليه من بني الصليحي وغيرهم من الملوك، وان يكتب للمكرم : انا ادركنا ثارنا واسترخصنا ملكنا وقد احسنا اليك وحملناك بصيانة والدتك والعفو عن بني عمك . العرشي : بلوغ المرام ص ٢٥ .
(٢٩) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٢١٥ .
(٣٠) يحيى بن الحسين : غاية الاماني ص ٢٨١ . ومما يذكره اليماني عن سبب انتقال المكرم من صنعاء الى ذي جبلة انوالدته اسماء حينماكانت فوض الامر الىزوجته اروى واستروح للشراب والسماع واستبدت اروى بالامر ويقال انها استعفته في نفسها . تاريخ عمارة ص ٦٢ ثم انتقلت من صنعاء وتركته فيها . وحكى ان زوجته قالت له في صنعاء : اطلب الناس فطلبهم ، ثم قالت اشرف عليهم فاشرف عليهم فلم يقع بصره الا على لمعان السيوف وبريق اسنتها فلما نزل ذي جبلة طلبت الناس من مخلاف جعفر وقالت له : (اشرف فاشرف فلم يقع بصره الا على من يحمل برا اوسمنا فقالت له : المقام بين هؤلاء اصلح من اولئك . غاية الاماني ص ٢٧١ .
(٣١) لقد اقترن المكرم باروى بعد ان استلم ولاية العهد عام اربعمائة وثمان وخمسين للهجرة فانجبت منه محمد وفاطمة وام همدان . حسين الهمداني : الصليحيون ص ١٤٧ .
(٣٢) يوضح عمارة ان الملكة اروى امرت الحسين التيمي صاحب الشعر ان يكاتب سعيد الاحول الى زبيد ويقول له ان المكرم قد اصابه الفالج وعكف على الملذات ولم يبق امره الا بيد امرأته ، وانت اليوم اقوى ملوك اليمن فان رايت ان تطيق على ذي جبلة وتهامة ونحن من الجبل فنستريح منه ونرجع اليكم البلاد باسرها فافعل فدولتكم احب الى المسلمين . تاريخ اليمن ص ٦٣ . كما يروى ان اروى امرت ان يقطع راسه .

سبا بن حمير المظفر واليا عليها(٣٢) . بعد ان كان متوليا على معقل اشيح .

اما فيما يخص عدن فانها وبعد مقتل علي يتغلب بنو معن على ما بايديهم فقصدهم المكرم الى عدن واخرجهم منها وولاها العباس ومسعود ابني المكرم الهمداني الجشمي اليامي(٣٤) ، ولم يكتف المكرم بذلك بل قسمها بين الاخوين حيث جعل مقر العباس في حصن التعكر وهو بجوار البر والباب وجعل لمسعود حصن الخضراء وهو بجوار الساحل المستولى على البحر والمراكب .

ومما تجدر الاشارة اليه ان علي الصليحي كان قبل ذلك قد جعل صداق عدن الى الحرة اروى حين زواجها من ابنه المكرم(٣٥) عام ٤٥٨هـ(٣٦) . ولكن بعد وفاة علي تغلب بنو معن وقطعوا الضريبة وعلى راسهم العباس بن معن عام ٤٦٢هـ ، ومحمد بن معن الذي قام بعد وفاته . ولما دخل المكرم الى عدن سنة ٤٦٥هـ هرب منها محمد بن معن فولى المكرم على عدن العباس ومسعود ابني المكرم الجشمي(٣٧) وعلى اية حال فان زريع بن العباس وابو الغارات بن مسعود استولى على عدن بعد وفاة العباس فاخذ زريع حصن التعكر وباب البر ، واخذ مسعود حصن الخضراء وباب البحر وكل منهما يحمل الى اروى ما يجمعه كل سنة .

ومن الجدير بالملاحظة ان زريع كان قد بعثت اليه اروى ان يتجهز لمقاتلة سعيد الاحول مع عمه مسعود فسارا الى زبيد وقاتلاه لكنهما قتلا عند باب زبيد(٣٨) . وبعد مقتلهما انتقل امر عدن الى ولديهما ابو السعود بن زريع وابو الغارات بن مسعود ، ولكن هولاء سرعان ما انقلبا على اروى في عهد المكرم فاعلنا انفصالهما عن عدن وتوابعها عن دولة بني الصليحي . فبعثت اليهما المفضل ابن ابي البركات وقاتلهما ولكنه اخيرا اتفق الطرفان على النصف من خراجها فكانا يحملان اليها كل سنة خمسين الف دينار ، وحينما توفى المفضل تمردوا ايضا وقطعوا ما عليهم من المال فبعث اليهم ابن عم المفضل اسعد بن ابي الفتوح بن العلاء ابن الوليد حيث قاتلهما ثم اتفقا اخيرا على الريع المذكور . ولم يزل ابو السعود قائما بعدن الى أن توفى مقتولا في سنة ٥١٤ غدر به رجلا من اصحابه فقتله بين الناس في حصن تعز(٣٩) . ولما توفى ابو السعود تولى ابنه سبا ثم توفى ابو الغارات فولى ابنه محمد بن ابي الغارت صاحب حصن الخضراء والمتولي على البحر والمدينة ، وبعده تولى والده الاعز علي بن ابي الغارات ثم تلاه الداعي محمد بن سبا ثم ولده عمران ، واخيرا صفت بعد ذلك الى محمد وابي السعود ابنى عمران وكانا طفلين(٤٠).

وهكذا نجد من دراستنا لتاريخ عدن انها كانت مطمع انظار الصليحيين نظرا لاهميتها الجغرافية الاقتصادية فموقعها على البحر من جهة ونهضة اقتصادياتها كانت دوافع كبيرة للسيطرة عليها لذا نجح الصليحيون منذ البدء ، وفي عهد علي بحيث جعلوها مكسبا رئيسا وماديا لانهم اعتبروها ضريبة وصداقا لاروى كما انهم لم يتوانوا في الدفاع عنها مهما كلف الامر حتى انتهوا اخيرا الى ضمها تحت حوزتهم وجعلها جزءا من اراضيهم حتى انتقلت وصفت لآل زريع فيما بعد .

امانهاية المكرم فانه رغم تركه الامور لزوجته الا انه قام بمجهود كبير في تثبيت سياسة والده وترسيخ حكم الصليحيين في اليمن ، كما سار على نهج والده في توسيع سياسة رقعة بلاده .والواقع ان المكرم كان كريما وشجاعا مدحه عدد من الشعراء ، ومنحهم الهدايا السنية . ومنهم الحسين القمي اذ قال فيه :

ما بال درس هذه الاطلال
جددن اشجاني وهن جوالي ؟)

وحينما حل عام ٤٨٤هـ(٤٢) توفى المكرم في جبلة بعد ان اصيب بالفالج واوصى ان يخلفه ابن عمه(٤٣) ابو حمير بن احمد المظفر ، وكان المكرم قد

(٣٢) حسن ابراهيم : اليمن البلاد السعيدة ص ٨٢ .
(٣٤) ابو مخرمة : تاريخ عدن جـ ١ ص ١٦٢ ، ويروى ابن مجاور ان نسبتهم من همدان ثم من جشم بن اصبى .
(٣٥) ابن مجاور : المستبصر ص ١٢١ .
(٣٦) ابو مخرمة جـ ١ ص ٤٠ .
(٣٧) الشماحي : اليمن التاريخ والحضارة ص ١١٥ .
(٣٨) حمزة : تاريخ عدن ص ٥٤ .
(٣٩) ابو مخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ١ ص ١٧ .
(٤٠) ابن المجاور : المستبصر ضمن تاريخ عدن جـ ١ ص ٤١
(٤١) ابو مخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ١ ص ٩ .
(٤٢) ابن المجاور : المستبصر ص ٧٢ ، يحيى بن الحسين : غاية الاماني ص ٢٧٤ ، ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٢١٥ ، المقريزي : الخطط ص ١٧٢ ، حسن ابراهيم : اليمن السعيدة ص ٨٢ ، ولكن بعض المؤرخين خالف في وفاته فعمارة اليمني في تاريخه ص ٤٤ يقول : انه كان ذلك عام ٤٧٧هـ وابي مخرمة في تاريخ عدن عام ٤٨٥هـ .
(٤٣) وضح ابو مخرمة انه اسند الوصية الى زوجته اروى ، والدعوة الى ابن عمه . تاريخ عدن جـ ١ ص ٨ فكانه فصل الوصية عن الدعوة .

خلف ولدين صغيرين هما علي ومحمد ؛ وهذا ما يعلل تفضيل سبا عليهما غير ان اروى اعترضت على هذه الوصية بعد وفاته لانها ارادت ان تولي ابنها علي مهما كلف الامر لهذا حقدت عليه . هذا من جهة ومن جهة اخرى لعل ثقتها بنفسها لتكون مساعدة لابنها في ادارة دفة البلاد باعتبارها ذات قابلية وكفاءة تمكنها من ان تتولى هذه الامور . غير ان ابنها علي توفي خلال هذه الفترة ولم يزل صغيرا ايضا فتولى اخوه محمد الامر وكان ايضا صغيرا كاخيه لذا اخذ يطالب سبا بالوصية(٤٤) التي منحها له المكرم دون جدوى . ومن هنا نلاحظ قيام الخلاف بين اروى وابن عمها سبا ابو حمير ، فتوجه سبا بجيش من معقله اشيح الى ذي جبلة معتقدا ان النزاع المسلح سيضع حدا للخلاف غير ان الامور جرت عكس ذلك اذ تدخل الخليفة المستنصر بنفسه لفض هذا النزاع ، ولعل الخليفة ادرك انه بهذا النزاع سينزعزع نفوذ الفاطميين في تلك الديار وسيضعف كثيرا . هذا من جهة ومن جهة اخرى نجد ان رغبة سبا بالاقتران باروى ساعد فعلا على اعادة الهدوء والطمأنينة الى البلاد ثانية .

لقد ذكرنا سابقا ان المكرم احمد حين تسنم الحكم بعد ابيه علي اخذ يعتمد على زوجته اروى في ادارة سياسة البلاد ؛ ولعله ادرك ان كفاءتها ومقدرتها وقوة شخصيتها على القيام بواجبها قد شجعه على ذلك . واروى(٤٥) هي ابنة احمد بن جعفر الصليحي الساعد الحقيقي لعلي الصليحي. اقترنت بالمكرم عام احدى وستين واربعمائة للهجرة حينما تولى ولاية العهد فانجبت منه علي ومحمد وفاطمة وام محمد . اما اسمها الحقيقي فهو اروى بنت احمد بن جعفر بن موسى الصليحي وتكنى بالسيدة الحرة . والدها كان نائبا عن علي الصليحي بعدن ورئيسا لوفد كان قد ارسله الى الخليفة المستنصر(٤٦) بعد استيلائه على حصن مسار لكي يستأثره في اظهار الدعوة الاسماعيلية في انحاء اليمن(٤٧) . وقد توفي والدها تحت انقاض داره بعدن وهي طفلة فتكفلها علي الصليحي وربتها زوجته اسماء(٤٨) اما امها فتدعى الرداح ابنة الفارع بن موسى . ولما توفي والدها تزوج امها عامر بن عبد الله الزواحي فولدت له سليمان (فهو اخوها من امها) . وقد قتل عامر على يد المفضل بن ابي البركات مسموما(٤٩) وذلك لعداء شخصي بينهما .

اما ولادتها فكما تتفق المصادر سنة ٤٠هـ في مدينة حراز . وتولت اسماء تربيتها وتهذيبها(٥٠) وكان علي الصليحي يحترمها كثيرا ويقدرها ويقول لزوجته اسماء : اكرميها فهي والله كافلة ذرارينا وحافظة هذا الامر على من بقي منا) . وهذا بلا شك يدل على مدى عطف الصليحي عليها وتقديره لها منذ حداثتها .

ولقد استطاعت هذه السيدة ان تجمع بين الدهاء وسداد الراي والاحترام فدبرت وهي في عصمة زوجها مقتل سعيد الاحول صاحب زبيد حينما عاد لاحتلال زبيد وذلك بمعركة فاصلة(٥١).

والواقع ان اروى بدات نشاطها السياسي منذ اقترانها بزوجها المكرم ؛ وكم كانت تستشير القاضي عمران بن الفضل اليامي وابا السعود بن اسعد بن شهاب وهما من كبار رجال الدولة المبرزين ؛ فازداد نفوذها واتسعت سلطتها ، كما انها سيطرت حينما اشتدت علة زوجها فتفردت بالملك والسلطة(٥٢) وقد طالت مدة حكمها للبلاد دون ان تتوانى او تكل بالامر .

ومما لا ريب فيه ان اروى كانت تعد اول سيدة تحكم في العهد الاسلامي فتنجح وهي تقبض زمام الامور بيد من حديد فترة تزيد على الاربعين عاما اي من سنة ٤٨٤هـ الى سنة ٥٣٢هـ . وهذه

---

(٤٤) لقد كتبت اروى الى الخليفة الفاطمي تطلب ان يكون ابنها على بلاد اليمن بدلا من سبا فوافق الخليفة الفاطمي وارسل الرسل باسم عبدالمستنصر ، ولكن امراء اليمن لم يعترفوا بهذا الغلام فاحتدم النزاع بين الداعي عامر الزواحي اي بين الصليحيين والزواحيين فهدد نفوذ الفاطميين في بلاد اليمن ، ولكن الخليفة الفاطمي المستنصر ارسل اليه بطاعة اروى وابنهما عبدالمستنصر (حسن ابراهيم : اليمن البلاد السعيدة ص ٨٦ الهمداني : الصليحيون والحركة الفاطمية ص ١٥٤ .

(٤٥) ورد اسمها في بعض الروايات سيدة بنت احمد بن جعفر الصليحي بن موسى . عمارة : تاريخ اليمن ص ٦١ ، ابو مخرمة : تاريخ عدن جـ ٢ ص ٢٦٢ ، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر جـ ٢ ص ١٨٣ .

(٤٦) العقيلي : الخلاف السليماني ص ٤٠ .

(٤٧) حسين الهمداني : الصليحيون ص ١٤٢ .

(٤٨) احمد شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ٢٠٢ .

(٤٩) عمارة : تاريخ اليمن ص ٦١ .

(٥٠) يروى ان اروى قالت لاسماء : (رايت البارحة كان بيدي مكنسة وانا اكنس قصر مولانا) فقالت لها اسماء: كان بك باحميراء وقد كنست الصليحي وملكت امرهم) عمارة : تاريخ اليمن ص ٦١ .

(٥١) عدنان ترسيس : اليمن وحضارة العرب ص ٩٦ .

(٥٢) العقيلي : الخلاف السليماني ص ٤١ .

الفترة ليست بالقليلة اذ ضربت فيه اروع المثل في الشجاعة والحزم والثبات اضافة الى الحكمة والعدل . وقد تميزت بالادب والمعرفة والدهاء . واتصفت بسمو التفكير وسداد الراي والذكاء . ولقد حملت اعباء الحكم بعد وفاة زوجها بنفسها فاصبحت تدير الدولة والدعوة بكل جدارة . وكم سادفتها عوائق كثيرة كادت تزعزع اركان دولتها لولا ما جبلت عليه من حسن تدبيرها وحسن اختيارها لمساعديها فاستطاعت وبمجهود كبير ان تقضي على تيارات الفتن والخلافات الداخلية في البلاد . ولم يكن اهتمامها بالامور السياسية فقط بل ايضا التفتت الى الناحية العمرانية حيث شيدت جامعا في ذي جبلة . وعمارة في صنعاء محاذيا للجامع الكبير ووقفت الوقفيات الكبيرة للمساجد ومعاهد العلم في اليمن .

وعلى الرغم من نشاطها السياسي الا انها كانت في احيان اخرى تعتمد على شخصية يمنية الا وهو المفضل بن ابي البركات بن الوليد الحميري(٥٢) وعلى اخيه ابو الفتوح ايضا . وكان المفضل يتصرف بامور البلاد ويديرها بموافقته ؛ كما انها كثيرا ما تستعين به وتستشيره لذا ارتفع شأنه في عهدها وعلت منزلته في البلاد . ويروى ان اروى كثيرا ما كان يجتمع عندها الوزراء ؛ لكنها كانت تحكم من وراء حجاب(٥٤) . ولقد منحها الخليفة الفاطمي حينما تولت الدعوة الفاطمية في اليمن لقب حجة الامام وكم استعانت لتثبيت قواعد الدعوة بقاضي القضاة في اليمن لمك بن مالك الهمداني . الذي كان بمرتبة داعي البلاغ . حيث استمر هذا بنظم الدعوة حتى وافته المنية فخلفه ابنه يحيى في المرتبة . وبفضل جهود هؤلاء والسيدة اروى تمكنت الدعوة المستعلية في البلاد وانتظمت .

ومن الامور المسلم بها ان السيدة اروى كانت تعد اخر ملك من ملوك الصليحيين فاطبة وقد قامت بنشاط سياسي ملحوظ اذ نظمت الجيوش وارسلتهم لمحاربة آل نجاح في زبيد وانتصرت عليهم كما انها تحاربت مع سبأ بن حمير . وكذلك استطاعت وبجهودها ان تضم اراضي واسعة الى بلاد اليمن حتى ذاعت شهرتها . خصوصا عندما تفردت بتدبير شؤون البلاد

(٥٢) العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام ص ٦٧ .

(٥٤) الزركلي : الاعلام ج ١ ص ٢٧٩ ، والواقع ان اسماء زوجة علي الصليحي كانت الوحيدة التي لم تعرف الحجاب في اليمن .

الداخلية والخارجية مما اغاض منافسها سبأ الذي جاء هنا يطالب بتنفيذ وصية المكرم ليكون حاكما لليمن من بعده دون جدوى ، اذ اعلنت الحرب بينهما بترتيب جيش محارب قدير . غير ان الامور تتدارك فيعلن الطرفان فض النزاع بعد ان تاقت رغبة الامير في الاقتران بهذه الارملة . لكنها انكرت ذلك الطلب وعارضته اشد المعارضة فيحاربها سبأ ويصطدم بجيشها ، وكان قائدها في النزاع المفضل بن ابي البركات ، ولكن الاوضاع تتبدل اذ يتدخل الخليفة الفاطمي بالامر بعد ان يستعين به سبأ لاقناعها بالاقتران منه ، ولعلها رغبة سبأ في تهدئة الاحوال وعدم انفصال البلاد وتجزئتها ؛ ولقد ايد الخليفة الفاطمي ورحب بهذه الفكرة فبعث اليها القاضي حسين بن اسماعيل الاصبهاني(٥٥) مع رسوله . ولما اخبر الرسول اروى بالامر وافقت على انه طاعة له وولاء لامره وهكذا هدات الاحوال .

ويوصف سبأ بكرمه وشاعريته ، وكم حارب بني نجاح في زبيد ولكنهم وثبوا عليه وسيطروا على معسكره بعد ان قتلوا منهم الكثير ، اما هو فقد نجا باعجوبة وكان زاهدا في الحياة وكريما يقصده الشعراء ويمدحوه بقصائدهم .(٥٦) .

وعلى اية حال فالذي نلاحظه هنا ان زواج اروى من سبأ لم يكن الا بدافع سياسي بحت اذ هدات احوال البلاد المضطربة ؛ وانتهت الحروب

(٥٥) يروى ان رسول الخليفة قال لها : (امير المومنين يقول لك وما كان لمؤمن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون الخيرة من امرهم فانت وما ذاك قال قد زوجك امير المومنين من الداعي سبأ .

(٥٦) يوصف سبأ بعمامة الخلق ، وكان فصيرا جدا لا يكاد يظهر من السرج بطائل ،وكان جوادا شاعرا فائما باحوال الملك واياه عنى ابن القمي بقوله :

لما جرحت البهرزي ابن احمد
اجاز وكافاني على المدح بالمدح
وعوضني شعرا بشعري وزادني
عطاء فهذا راس مالي وذا ربحي
شققت اليه الناس حتى رايته
فكنت كمن شق الظلام الى الصبح

(عمارة : تاريخ اليمن ص ٦٤) ، (اليماني : تاريخ اليمن ص ٥٦) .

كما مدحه ابن القمي بقصيدة مطلعها :

ان ضامك الدهر فاستعصم باشيح او
ازدى بك الفقر فاستمطر بنا سيبا
ما جاءه طالب ببغي مواهبه الا
وازمع منه فقره هربا

المشتعلة بينهما وسارت الامور سيرها الطبيعي في بلاد اليمن ولكن لم تدم هذه الاحوال طويلا اذ توفي سبأ وذلك عام ٤٩٢هـ(٥٧) فدفن عند سفح التعكر واوصى لابنه من بعده(٥٨) بادارة البلاد ومعاونة السيدة اروى . وبموت سبأ نرى انفصال صنعاء عن جسم الدولة الصليحية اذ تغلب عليها حاتم بن القشم الهمداني ، وبقيت اروى تحكم في جبلة وما جاورها معتمدة على المفضل بن ابي البركات الحميري ليساعدها في ضبط امور البلاد؛ وكان هذا قبل ذلك عاملا على التعكر كوالده من قبل . وقد قام المفضل بدور مشهود في محاربة سبأ مع اروى حينما خطبها ورفضت طلبه ، كما حارب شمس المعالي علي بن سبأ صاحب حصن قيضان واخرجه منها وملك حصون بني المظفر جميعها . ولقد اعتمدت اروى على سعد بن ابي الفتوح بن العلاء الحميري وزيرها ؛ وكان متوليا على حصن تعز وصبر قبل ذلك فساعدها على شؤون المملكة وادارة دفة الدولة حتى وفاته عام ٥١٤هـ بعد ان قتله اثنان من اعدائه في تعز .

والواقع ان الملكة اروى تجزع لوفاة المفضل(٥٩) فتترك ذي جبلة وتخيم عند التعكر . حيث ترسل الى الفقهاء فيها لكنهم يعارضونها في بقائها معهم ، ويطلبون منها الرحيل مع جيشها على ان يعينوا عليها من بينهم فترضى بذلك وتهدا احوال التعكر بعد ذلك فاتفقوا على تعيين فتح بن مفتاح احد مواليها وكان على التعكر خالد اخو المفضل الحميري المقتول لكن هذا ايضا قتله الفقهاء فيها وعلى راسهم الفقيه عبدالله بن المصوع ؛ الا ان هذا لقي مصرعه ايضا على يد بعض اهالي الحصن الموالين للمفضل .

اما علاقة نجيب الدولة باروى فانه حينما ادركتها الشيخوخة طلبت من خليفة مصر ان يبعث اليها مستشارا ليساعدها في ادارة امور الدولة فاستجاب خليفة مصر الى ذلك وارسل احد رجاله المبرزين علي بن ابراهيم نجيب الدولة ومعه عشرون رجلا من الفرسان لحمايتها . والواقع انه لما تعقدت الامور عليها ارسلت الى الحكومة المصرية تطلب اعارتها مستشارا يساعدها في تدبير شؤون دولتها . كما ان حكام القاهرة شعروا بان مركزها بدا يتزعزع لذا بادر الوزير الافضل بدر الجمالي بارسال نجيب الدولة اليها. وكان قدومه الى اليمن سنة ٥١٣هـ ، وحينما وصل اليها قررت اقامته في مدينة جبلة ليكون موضع استشارتها في الشؤون الحربية والسلمية، وقد تقلد حفاظة خزائن الكتب الافضلية بمصر ، كما يوصف بحسن تدبيره للامور ، وبشهامته ، وانه كثير الحفظ للقرآن ، وكان غزير العلم واسع الدهاء الى حد انه تقرب الى الخليفة واصبح موضع ثقته بحيث قلده الوزارة ؛ ووكل اليه النظر بشؤون دولته والعمل على قمع الفتن والثورات . وحينما استقر باليمن قام بواجبه خير قيام فكان مخلصا لاروى حاكما اليمن نشطا في الغزو على بعض المناطق مثل وادي ميتم وزبيد واهل الاطراف والملة . وحاول ان يرخص الاسعار في البلاد وعدل في الناس وعز جانب الملكة . ولم يزل مفضلا عند اروى كاسبا ثقتها لفترة طويلة ؛ وقد استطاع تاديب القبائل الخولانية حينما استهانوا بالحرةوحاولوا بسط نفوذهم على البلاد فتمكن ان يطردهم من ذي جبلة ومن نواحيها ايضا . وكان برنامجه الاساسي اخضاع امارات اليمن الصغرى للمملكة . كما ساعد على عدم تسرب النزارية الى هذه البلاد .

والواقع ان نجيب الدولة استخدم جل جيشه من قبائل خولان حينما انتصر عليهم وقام بمعاقبة كل من يمتنع في اندخول في خدمته ، وامرته اروى ان يهدىء احوال البلاد الثائرة ثم توجه الى منصور بن فاتك بن جياش الذى هرب من زبيد الى الهند بعد مقتل اخيه سعيد الاحول عام ٤٨١هـ وممه وزيره خلف بن ابي الطاهر الاموي . الا ان جياش عاد ثانية الى زبيد حينما شعر بحال المكرم(٦٠) ، وما آل اليه من ضعف ووهن ولما تسلم دار الامارة سنة ٤٨٣هـ بقي في

---

(٥٧) العرشي : بلوغ المرام ص ٢٧ نهاية الاماني ص ٤٩٢ ، وخالفه عمارة في ص ٨٦ ان سبأ توفي عام ٥٣٢هـ .

(٥٨) كان علي الاغر ابن الاعز هو زوج فاطمة بنت المكرم . حسين الهمداني : الصليحيون ص ١٦٢ .

(٥٩) يروى ان المفضل حينما استولى على حصن التعكر قال له الفقهاء : والله لابت حتى اقتل المفضل فحمل الى حقابا المفضل اللواتي يميل اليهن فالبسهن فاخر الثياب والحلل واطلعهن على سفح القصر فضربن بالدفوف والمعازف بحيث يراهن المفضل وجميع عسكره ، وكان المفضل اشد الناس غيرة ، فمات ليلته كمدا وقيل امتص خاتما فاصبح ميتا والخاتم في فمه . يحيى بن الحسين: غاية الاماني ص ٥٨ .

(٦٠) يروى ابو مخرمة ان جياش قال : صعدت الى وادي جبلة فكشفت عن احوال المكرم بن احمد الصليحي وما هو عليه من العكوف على اللهو واضطراب جسمه وتفريق امره الى زوجته السيدة بنت احمد . تاريخ ثغر عدن جـ ١ ص ٤٢ .

هذا المنصب حتى عام ٤٩٨هـ فتسلم ابنه فاتك (وهو من جارية هندية) من بعده الامر . لكن هذا توفي فتسلم ولده المنصور الامارة في زبيد حيث اصطدم بابن نجيب الدولة بحرب شديدة خسر على اثرها ابن نجيب الدولة بعد ان فقد عددا كبيرا من اصحابه ، كما اسر منهم آخرين ورمى فرسه حتى صرع الفرس فنجا ابن نجيب باعجوبة .

وعلى اية حال فان الامور لم تدم هكذا طبيعيا اذ تازمت الاحوال بين اروى وابن نجيب الدولة رغم خدماته لها واخلاصه لحكمها . اذ دب الخلاف بينهما خاصة حينما اتهم باساءة امور الدولة اضافة الى حقد بعض رجال اليمن عليه فتآمروا ضده واثاروا ضغينتها فاوقعوا بينهما ، لهذا نقمت عليه وحاولت التخلص منه(٦١) . وقررت اروى ان تعلن الحرب عليه واربما لم تستطع ان تبعده عن البلاد سلميا . ومهما يكن من امر فانها جهزت جيشا يتزعمه سليمان وعمران ابنا الزر وسبا بن ابي السعود وابو الغارات واسعد بن ابي الفتوح والمنصور بن المفضل حيث استاذنوها بحصار ابن نجيب الدولة ، اما ابن نجيب الدولة فان جل جيشه كان من قبائل همدان الموالية له . والواقع انه رغم قوة رجال ابن نجيب الدولة الا انهم لم يستطيعوا ان يواجهوا جيش الملكة اروى ، وكان من رجاله الطوق بن عبدالله ومحمد بن احمد بن عمران بن المفضل بن علي اليامي ، وعبدالله بن عبدالله الذي قام بالدعوة بعد ان نجيب الدولة ومنهم علي بن سليمان الزواحي وابو الطيب بن سامي ومحمد الاغر .

ومن الجدير بالذكر ان جيش الملكة كان يقدر بالآلاف استطاع وبكل سهولة ان ينقلب على جيشه حيث قبض عليه واخذ مكبلا مستقفرا(٦٢) ، وينتهي امره . ومن الملاحظ ان اليمن خسرت بابعاده عن الحكم كثيرا اذ تضعضع مركز اليمن السياسي وتألبت عليه العناصر المعارضة التي كانت تتطلع الى مركز الملكة الواهي .

اما خليفة القاهرة فانه طلب استدعاء ابن نجيب الدولة الى مصر حينما علم بهذا الخلاف في اليمن وارسل الى الملكة ان ترسله اليها ، فارسلته طائعة مع رسوله ابن الخياط بعد ان اناب لمساعدتها علي بن عبدالله الصليحي (وهو

(٦١) لقد اشاع عنها انه قال انها خرفت واستحق عندي ان يحجر عليها . تاريخ عمارة ص ٧٧ .
(٦٢) الشماخي /: اليمن الانسان والحضارة ص ٩٦ .

ابن اخ علي بن محمد الصليحي) حيث لقب بفخر الخلافة حتى وفاة الملكة اروى عام ٥٣٢هـ . ولقد اعتمدت اروى على شخصية مهمة وهو عمرو بن عرفصة الجنبي حينما حاربت ابن نجيب الدولة فاستجاب لها وخيم في ذي جبلة ، كما بعث الى وجوه القبائل ان ابن نجيب الدولة فرق في الناس عشرة الاف دينار مصرية ، وكان غرضها في ذلك ان تسيء سمعته بين الناس ردا على اهانتها بقوله انها خرفت . ومهما يكن من امر فان اروى حينما قبضت على ابن نجيب الدولة وارسلته الى مصر وارسلت معه محمد بن الازدي(٦٣) ليسلمه الى الخليفة الآمر . غير ان هذا يموت في طريقه الى مصر غريقا ، وحينما وصل ابن نجيب الدولة الى مصر اراد الخليفة ان يقتله رغم توسط الملكة في ذلك دون جدوى .

وهكذا انتهى عهد قوة اليمن بموت رجالها ، فانتقل امرها الى آل زريع ، وانتهى بذلك عهد الصليحيين قاطبة .

لقد ذكرنا فيما سبق ان الملكة اروى حكمت فترة طويلة جاوزت نصف قرن من الزمان حيث توفيت عام اثنين وثلاثين وخمسمائة للهجرة في مدينتها ذي جبلة . وكان عمرها حينما توفيت ثمانية وثمانين عاما حيث دفنت في الجامع المشهور الذي بنته في صنعاء .

واروى تعد آخر ملك حكم الدولة الصليحية قاطبة . ولقد انتقلت اموالها وذخائرها الى منصور بن المفضل بن ابي البركات(٦٤) الحميري حسب وصيتها ، لكن هذا لم يحتفظ بهذه الودائع فباعها بعد ان شاخ الى محمد بن سبأ بن ابي السعود صاحب عدن ، وابقى على تعز فقط حيث ملكها حتى وفاته . كما اوصت اروى ان يمنح قسما من مالها الى خليفة مصر الآمر ليكون لها قربانا وشفيعا يوم الفزع الاكبر كما تعتقد(٦٥) .

ومما يلاحظ ان حكم الملكة اروى كان حافلا بالاعمال الجليلة فقد اهتمت بالبناء والمنشآت العامة وعبدت الطرقات ومشاريع سحب المياه ، وعمرت المساجد والمعاهد والمنشآت والاعمال الخيرية المتعددة كما خضعت لها اغلب المناطق اليمنية الجنوبية وعلى راسهم آل جنب وآل حاتم والائمة الرسيون والسلمانيون(٦٦) ، ويعد حكم

(٦٣) كان هذا اديبا منشأ للديوان بليغا مجيد الانشاء . ابو مخرمة :تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ٢٠٢ .
(٦٤) ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ١٨٣ .
(٦٥) حسين الهمداني : الصليحيون ص ٢٢٥ .
(٦٦) عدنان ترسيس : اليمن وحضارة العرب ص ٩٦ .

هذه المرأة الفريدة في الواقع افضل حكم عرفته اليمن في العهد الاسلامي . وتميزت هذه السيدة في الواقع باخلاقها الفاضلة الى جانب ما تمتعت به من جمال الخلقة فكانت كما يصفها المؤرخون قارئة كاتبة تحفظ الاخبار والاشعار والتواريخ . ولقد خلفت من زوجها المكرم اربعة اولاد هم محمد وعلي وفاطمة وام همدان . فاما محمد وعلي فماتا طفلين بصنعاء ، واما ام همدان فتزوجها احمد ابن سليمان الزواحي وهو ابن خالها فرزقت منه عبدالمستعلي وماتت عام ست عشرة وخمسمائة للهجرة . اما فاطمة فتزوجها شمس المعالي علي ابن سبأ بن احمد حيث مات بعد امها بعامين .

ولقد امتازت اروى بالخبرة الواسعة وسعة الاطلاع ، كما تميزت بتفهمها قضايا الناس وادارة شؤون البلاد في ظروف سيئة احاطت بالبلاد ، والمعروف عنها انها اشتهرت بتقواها وورعها وسياستها الحكيمة لهذا سميت بسيدة ملوك اليمن ، وهي اول ملكة عربية في العهد الاسلامي. ولم يكن اهتمامها بالسياسة فقط بل اهتمت ايضا باقتصاديات اليمن . اذ اوقفت اراضي واسعة في نواحي جبلة ، كما اوقفت اراضي كثيرة خصبة لرعي المواشي وتحسين النسل ، واستعانت بالمستشارين من الدول الاخرى مثل ابن نجيب الدولة ليساعدها على سياسة البلاد ، واهتمت بتعبيد الطرق والعمران ، فانشات المدارس الكثيرة في ذي جبلة ، وبنت المساجد ووسعت جامع صنعاء ، وكانت خبيرة بالتاريخ ، ولها تعليقات وشروح لبعض الكتب تدل على غزارة في مادتها . والواقع انها استطاعت بكل جدارة ان تدير شؤون بلادها وقد مدحها شعراء عصرها بقصائد طويلة وعلى رأسهم الخطاب بن ابي الحسن الحجوري والحسن بن علي القمي(٦٧) ونظرا لقوة شخصيتها فقد سميت ببلقيس الصغرى تشبها ببلقيس ملكة سبأ ، كما سميت بسيدة ملوك اليمن .

(٦٧) لقد مدحها الحسن بن علي القمي بقصيدة مطلعها :

وكربة الحسين يكشف قصرها
اسد تخاف الاسد من صولاتها

● * ●

مصادر البحث

١ ـ ابن الاثير : علي بن احمد بن عبد الكريم
الكامل في التاريخ . الجزء العاشر . القاهرة ١٣٤٨هـ .

٢ ـ ترسيس : عدنان
اليمن وحضارة العرب . بيروت .

٣ ـ الحمادي : محمد بن مالك بن ابي الفضائل اليماني ،
المتوفى في اواسط المائة الخامسة للهجرة .
كشف اسرار الباطنية . تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري . مطبعة الانوار ١٣٥٧هـ .

٤ ـ حسن : ابراهيم حسين
اليمن البلاد السعيدة . مصر . دار المعارف

٥ ـ حمزة : علي ابراهيم لقمان
تاريخ عدن وجنوب الجزيرةالعربية. مصر ١٣٧٩/١٩٦٠م

٦ ـ ابن خلدون : عبدالرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي ت ٨٠٨هـ
العبر . بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

٧ ـ ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين حسين بن محمد ابن ابي بكر ت ٦٠٨هـ/٦٨١هـ .
وفيات الاعيان . الجزء الثالث . تحقيق د . احسان عباس . المجلد الثالث . بيروت .

٨ ـ زامباور : اخراج زكي‌محمد ومحمد حسن احمد محمود. ترجمة سيدة كاشف .
معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي .
مطبعة فؤاد جـ ١ . ١٩٥١م .

٩ ـ الزركلي : خير الدين
الاعلام جـ ١ـ٢ . الطبعة الثانية .

١٠ ـ الشماحي : القاضي عبدالله بن عبدالوهاب المجاهد
اليمن الانسان والحضارة . مصر .

١١ ـ العرشي : حسين بن احمد الزيدي
بلوغ المرام في شرح مسك الختام . القاهرة ١٩٢١م .

١٢ ـ العقيلي : محمد بن احمد عيسى
الخلف السليماني . القاهرة .

١٣ ـ عمارة اليمني : ابو محمد بن ابي‌الحسن الحكمي
تاريخ اليمن. تحقيق د. حسن سليمان محمود .القاهرة ١٩٥٧م .

١٤ ـ ابن العماد : ابو الفلاح عبدالحي بن العماد ت١٠٨٩هـ
شذرات الذهب . المجلد الثاني جـ ٣ـ٤ بيروت .

١٥ ـ ابو الفداء : عماد الدين ابو الفتح بن‌محمد (ت٧٣٢هـ)
المختصر في اخبار البشر جـ ١ـ٢ القاهرة .

١٦ ـ ابن المجاور : جمال الدين ابو الفتح بن محمد
صفة بلاد اليمن المسمى المستبصر . مطبعة بريل ١٩٥١

١٧ ـ ابو المحاسن : جمال الدين
النجوم الزاهرة . الجزء الخامس . القاهرة .

١٨ ـ ابومخرمة :ابومحمد عبدالله الطيب بن‌عبدالله بن‌احمد
تاريخ ثغر عدن . الجزء الاول والثاني . ليدن ١٩٣٦م

١٩ ـ المقريزي : تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)
الخطط . الجزء الثاني طبعة بولاق .

٢٠ ـ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد علي
غاية الاماني في اخبار القطر اليماني . تحقيق سعيد عاشور . القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

٢١ ـ اليماني : تاج الدين عبدالقاضي عبدالحميد .
تاريخ اليمن . تحقيق مصطفى حجازي . مطبعة مبخوت ١٩٦٥م .

٢٢ ـ الهمداني : حسين بن فيض الله الهمزاني
الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن . القاهرة .